

إحياء الموتى في الدنيا كما جاء في القرآن الكريم

د. محمد حسن محمد عبد الرحمن*

الحمد لله قاصم الجبارين ومذل المستكبرين وهادي العالمين الي صراط مستقيم، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) صفوة الخلق المبعوث رحمة للعالمين وعلي آله وصحبه وسلم.

قال تعالى: (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ) (آل عمران: ١٠١)، وقال تعالى أيضا: (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢).

ظلت فكرة البعث بعد الموت مستبعدة الحدوث وأن معظم الأمم السابقة التي أنكرت وكفرت بالانبياء تستبعد مسألة الإحياء هذه، وكان هذا سبب كفرهم، قال تعالى: (قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (المؤمنون: ٨٢ - ٨٣).

قال صاحب فتح البيان: (هذا مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه بشئ من الشبه، وُعِدنا هذا البعث الآن، ووعدہ آبائنا الكائنون من قبلنا، فلم نصدقہ كما لم يصدقوه، ما هذا إلا أكاذيب الأوليين التي سطورها في الكتب) (١).

تتبع أهمية هذا الموضوع من كون أنه قديم متجدد فالحياة مستمرة والموت مستمر، فلا مهرب ولا فكاك للذي أنكر البعث يوم القيامة ن فإن الله سبحانه قد أحى الموتى في الدنيا وقبل الآخرة، حتي لا يكون ذلك ميدان خصب

* أستاذ مشارك / قسم التفسير جامعة أم درمان الإسلامية.

يمرح فيه الكفرة والملحدون وهم يرددون فريه إستحالة إحياء الإنسان بعد موته، فهذا هو القرآن الكريم يخرس ألسنتهم وهو يقتزل علي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليحدثه عن موت أفراد من البشر وإحياءهم مرة أخرى في الدنيا وقبيل الآخرة، وحتى لا يتسرب الشك الي قلب بشر، فقد شمل الإحياء مخلوقات الله قاطبة من إنسان وحيوان وطيور.

سبب إختيار هذا الموضوع هو أن الإنسان محل النسيان وإن أول ناس أول الناس وهو سيدنا آدم عليه السلام فقد أكل من الشجرة المحرمة ونسي تحذير الله سبحانه وتعالى له^(٢) وتسليط الضوء للضالين الحيارى، حتي لا يعيشوا الحياة الدنيا كالأنعام بل هم أضل، فإن من الأمم اليوم ماتفعل العجائب مع الموتى بالحرق وبطحن العظام ثم ذرها في الهواء، أو وضعهم في صهاريج مفتوحة حتي تنقض عليهم النسور فتمزقهم إربا إربا، وهذا الذي يحدث حتي اليوم في الهند ونيبال وغيرها، قال صاحب الظلال: والموت ليس نهاية الرحلة ولكنه مرحلة في الطريق^(٣) وقال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠).

وقد إقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه الي مقدمة شملت أهمية الموضوع وسبب اختيار الموضوع، وبيان الخطة التي سيسلكها الباحث في بحثه، إشتمل البحث علي خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: قصة الألو ف الذين فروا حذر الموت.

المبحث الثاني: قصة قتيل بني إسرائيل.

المبحث الثالث: قصة طيور سيدنا إبراهيم عليه السلام.

المبحث الرابع: قصة عزيز.

المبحث الخامس: قصة أهل الكهف.

ثم الخاتمة وحتوت أهم النتائج التي توصل لها الباحث والتوصيات.

المبحث الأول

قصة الألوף الذين فروا حذر الموت

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) (البقرة: ٢٤٣).

والمعني: (ألم ينته الي علمك أيها النبي، خبر أولئك القوم وهم ألوף مؤلفة جنباء، فروا من عدوهم مع كثرتهم، خوفا من أسباب الموت فأماتهم الله ثم أحياهم إن الله صاحب الفضل الكبير علي الناس جميعا، حيث أرشدهم إلي طريق العزة والنصر، ولكن أكثر النار وهم الكفار لا يشكرون الله علي نعمه والهدف هو تشجيع المؤمنين علي الجهاد، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ، صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) (الصف: ٤)، قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا نأني أرضا ليس بها موت، حتي إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله موتوا فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتي يعبدوه فأحياهم، ورأي بعضهم المعاصرين، أنه لما إنقرض الجيل الجبان، ظهر منهم جيل عزيز، ثار وهزم عدوه) (٤).

قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَيْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الجمعة: ٨)، وقال تعالى: (أَيَنْتَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) (النساء: ٧٨)، وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأُخْرَىٰ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ

فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (البقرة: ٩٤- ٩٥) وقال الشاعر^(٥):

وهل يَأْبَقُ الإنسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء
وجاء في الحديث القدسي [وماترددت في شئ أنا فاعله، ترددي في قبض
نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره إسأته ولا بد منه]^(٦).
إن حكمة الله تقتضي الموت؛ لأن الموت يقربه الي ربه، وينال رضوانه
وسعادته، والرحمة تقتضي عدم إسأته بالموت؛ فإن طول الحياة يردده
الي أرذل العمر وما أحسن ما قيل:

جزى الله عنا الموت خـيـراً فإنه أبرنا من بر وأعطف
يعجل تخليص الذنوب من الأسى ويدني إلي الدار التي هي أقرب^(٧)
ويقول (صلى الله عليه وسلم): [إن مثل المؤمن في الدنيا كمثّل الجنين في
بطن أمه، إذا خرج من بطنها بكى علي مخرجه، حتي إذا رأي الضوء
ووضح، لم يحب أن يرجع إلي مكانه، وكذلك المؤمن يجزع من الموت، فإذا
أفضي إلي ربه، لم يحب أن يرجع إلي الدنيا، كما لا يحب الجنين أن يرجع
إلي بطن أمه]^(٨).

المبحث الثاني

قصة قتيل بني إسرائيل

قال تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا^ط وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا^ق كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ أَلَمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

(درأ: الدراء الميل إلي أحد الجانبين، درأ ودرأت عنه دفعت عنه جانبه، وفلان ذو تدري؛ أي قوي علي دفع أعدائه، ودرأته دافعته، قال تعالى: (وَيَدْرَأُونَ^ب بِالْحَسَنَةِ أَلَسَيِّئَةُ) (الرعد: ٢٢) وقال: (وَيَدْرَأُوا عَنْهَا^ب أَلْعَذَابِ) (النور: ٨)، وفي الحديث [إدرءوا الحدود بالشبهات] (١).

تنبيهاً علي تطلب حيلة يدرأ بها الحد، قال تعالى: (فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ^ب أَلَمَوْتَ) (آل عمران: ١٦٨)، وقوله: (فادارأتم فيها) الآية، هو تفاعلتم أصله تدارأتم، فاريد منه الإدغام تخفيفاً، وإبدال التاء دال فسُكِّنَ للإدغام، فاجتلب لها ألف الوصل فحصل علي أَفَاعَلْتُمْ قال بعض الأدباء: ادْرَأْتُمْ إِفْتَعَلْتُمْ، وغلط من أوجه أولاً: أن ادارأتم علي ثمانية أحرف، وافتعلتم علي سبعة أحرف، والثاني: أن الذي يلي ألف الوصل تاء فجعلها دالا. والثالث: أن الذي يلي الثاني دال فجعلها تاء والرابع: أن الفعل الصحيح العين، لا يكون مابعد تاء الإفتعال منه إلا متحركاً، وقد جعله ساكناً. الخامس: أن ها هنا قد دخل بين التاء والدال زائد، وفي إفتعلت لا يدخل ذلك. السادس: أنه أنزل الألف منزل العين وليست بعين. السابع: أن إفتعل قبله حرفان، وبعده حرفان، وادارأتم بعده ثلاثة أحرف) (١٠).

قال فخر الدين الرازي ^(١١) في قوله تعالى: (وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَارَأْتُمْ فِيهَا) (الدرء هو الدفع، فالمتخاصمون إذا تخاصموا، فقد دفع كل واحد عن نفسه تلك التهمة، ودفع كل واحد حجة صاحبه عن تلك الفعل، وفي إسناد تلك التهمة الي غيره، ودفع حجة صاحبه في براءته عنه (والله مخرج ماكنتم تكتمون) أي مظهر لامحالة ماكنتم من أمر القتل.

قالت المعتزلة ^(١٢): لا بد وأن يفعل ذلك؛ لأن الإختلاف والتنازع في باب القتل، يكون سببا للفتن والفساد، والله لا يحب الفساد ولا يريده.

أما قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا) ففيه مسائل:

المسألة الاولى: المروي عن ابن عباس أن صاحب بقرة بني إسرائيل طلبها أربعين سنة حتي وجدها ثم ذبحها إلا أن الرواية علي خلاف ظاهر القرآن.

المسألة الثانية: الهاء في قوله تعالى (اضربوه) ضمير، وهو إما أن يرجع إلي النفس، وحينئذ يكون التذكير علي تأويل الشخص أو الإنسان، وإما الي القتل وهو الذي دل عليه قوله (ماكنتم تكتمون).

المسألة الثالثة: يجوز أن يكون الله تعالى إنما أمر بذبح البقرة؛ لأنه تعلق بذبحها مصلحة لا تحصل إلا بذبحها، ويجوز أن يكون الحال فيها أو في غيرها علي السوية؛ والأقرب الأول، لأنه لو قام غيرها مقامها لما وجبت علي التعيين بل علي التخيير، وههنا سؤالان:

السؤال الأول: ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة، مع أن الله تعالى قادر علي أن يحييه ابتداء؟ لتكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد، فقد كان يجوز لملدح أن يوهم أن موسي عليه السلام إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة، فإنه إذا أحيى عندما يضرب بقطعة من البقرة المذبوحة إنتهت الشبهة.

السؤال الثاني: هلا أمر بذبح غير البقرة ؟ وأجابوا بأن الكلام في غيرها لو أمروا بها كالكلام فيها، ثم ذكروا فيها فوائد منها ن التقرب بالقربان ولما فيه من مزيد الثواب لتحمل الكلفة في تحصيل هذه البقرة، ولما فيه من حصول المال العظيم لمالك هذه البقرة (١٣).

والمعني: (وأذكروا حين قتل بعضكم نفسا، فتخاصمتم وتنازعتم فيمن هو القاتل والله مظهر ماكنتم من أمر القتل، لإخفائه علي الحاكم، فقلنا إضربوا القاتل بأحد أعضاء البقرة المذبوحة، وضربوه فأحياء الله، فأخبرهم عن القاتل، وهكذا يحيي الله الأموات يوم القيامة، كمثل هذا الإحياء، ويريكم علاماته الدالة علي كمال قدرته، حتي تدركوا قدرة الله تعالي، وتندبروا في أمر البعث) (١٤).

ولو أنهم ذبحوا أدني بقرة لأجزتهم وكفتهم ولكن كانوا كلما يتشددوا، يتشدد الله عليهم حتي صارت هذه البقرة نادرة جدا، ولكنهم عندما فطنوا لذلك قدموا مشيئة الله تعالي فدلهم عليها.

المبحث الثالث

قصة طيور سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (البقرة: ٢٦٠). (ذكروا في سبب سؤال سيدنا إبراهيم وجوها:

الوجه الأول: قال الحسن والضحاك وقتادة وابن جريح أن إبراهيم (عليه السلام) رأى جيفة مطروحة في شط البحر، كان إذا مد البحر أكل منها دواب البحر، وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت، وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت، قال إبراهيم: رب أرني كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون هذه.

الوجه الثاني: قال محمد بن إسحاق ^(١٥) وغيره، أن سيدنا إبراهيم في مناظرته مع النمرود قال: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَتْهُ اللَّهُ الْمَلَأَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) (البقرة: ٢٥٨) فأطلق محبوسا وقتل رجلا، قال إبراهيم: ليس هذا بإحياء وإماتة وعند ذلك قال (رب أرني كيف تحيي الموتى) الآية، لتتكشف هذه المسألة عند النمرود وأتباعه.

الوجه الثالث: ما قاله قوم من الجهال، هو أن إبراهيم (عليه السلام) كان شاكاً في معرفة المبدأ، فقله (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ) (الأنعام: ٧٨) وقوله (قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الضَّالِّينَ) (الأنعام: ٧٧)، وأما شكه في الميعاد فهو في هذه الآية؛ وهذا القول سخيْف؛ بل كفر، وذلك لأن الجاهل بقدرة الله تعالى علي إحياء الموتى كافر، فمن نسب النبي المعصوم إلي ذلك فقد كفره، وكان هو بالكفر أولي ! ومما يدل علي فساد ذلك وجره:

أحدها: قوله تعالى: (أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي) ولو كان شاكا لم يصح منه ذلك.

وثانيها: قوله (ولكن ليطمئن قلبي) وذلك كلام عارف طالب للمزيد من اليقين، ومنها أن الشك في قدرة الله تعالى، يوجب الشك في النبوة، فكيف يعرف نبوة نفسه) (١٦).

قال ابن كثير (١٧): في قوله (قال فخذ أربعة) إختلف المفسرون في هذه الأربعة ماهي ؟

فروي عن ابن عباس أنه قال: هي الغرنوق والطاؤوس والديك والحمامة، وقال مجاهد وعكرمة: كانت حمامة وديكا وطاؤوسا وغرابا (من الطير فصرهن إليك).

قال ابن عباس: أخذ رؤسهن بيده، وجعل كل طائر يجي لياخذ رأسه الذي هو في يد إبراهيم (عليه السلام) فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته) (١٨).

المبحث الرابع

قصة عزيز

قال تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (البقرة: ٢٥٩).

والمعني: (هل رأيت أيها النبي مثل العزيز من بني إسرائيل حينما مرَّ علي قرية من أرض بيت المقدس، بعد تخريب بُخْتَنَصْرَ لها، فهي خاوية من السكان والبيوت قائمة، أو أن السقوف والحيطان سقطت منها، فقال كيف يحيي الله أهل هذه القرية، أو كيف تعود لها الحياة بالبناء والعمارة والسكان؟ فأماته الله بنفسه مائة سنة، ثم بعثه حيا بنفسه، فقال له: كم مكثت هنا ميتا؟ قال بحسب ظنه: مكثت يوما أو بعض يوم، معتقدا أنه نام وأفاق، قال له ربه: بل مكثت ميتا مائة سنة، فانظر إلي ماكان معك من الطعام والشراب لم يتغير مع طول المدة بقدره الله، وانظر الي حمارك الذي مات كيف نحياه بعد تفرق أجزائه، ولنجعلك مثالا علي البعث بعد الموت، ودليلا علي قدرتنا، وانظر الي العظام كيف نرفع بعضها من الأرض، ونضم أجزائها ثم نردها الي أماكنها، ثم نسترها باللحم، فلما اتضح له ذلك عيانا، بعد أن أنكر أو إستغرب كيفية قدرة الله، قال: أعلم؛ أي إطمأن قلبي إلي أن الله قادر علي كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء) (١٨).

قال صاحب أيسر التفاسير: تجلت قدرة الله تعالى في عدم تغير الذي جرت العادة أنه يتغير في ظرف يوم واحد، وهو سلة التين وشراب العصير، وفي تغير الذي جرت العادة أنه لا يتغير إلا في عشرات الأعوام وهو الحمار، كما هي ظاهرة في موت صاحبهما وحياته، بعد لبثه علي وجه الأرض ميتا، لم يعثر عليه أحد طيلة المائة عام، وقال له تبارك وتعالى بعد أن وقف علي مظاهر قدرته، فعلنا هذا بك لنريك قدرتنا علي إحياء القرية متي أردنا إحيائها، ولنجعلك في نصتك هذه آية للناس، تهديهم إلي الإيمان بنا وتوحيدنا في عبادتنا وقدرتنا علي البعث الآخر الذي لا ريب فيه^(٢٠).

(لم يسم الله عزيراهنا، إذ قال: (أو كالذي مر علي قرية) وسم إبراهيم في قوله: (وإذ قال إبراهيم) مع أن المقصود من البعث في كلتا القصتين شيء واحد، والسبب أن عزيرا لم يحفظ الأدب، بل قال أنني يحيي هذه الله بعد موتها) وإبراهيم حفظ. الأدب فإنه أثني علي الله بقوله: (رب) ثم دعا حيث قال (ارني) وأيضا أن إبراهيم لما راعى الأدب جعل الله الإحياء والإماته في الطيور وعزيرا لما لم يراع الأدب جعل الإحياء والإماته في نفسه)^(٢١).

المبحث الخامس

قصة أهل الكهف

قال تعالى: (أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) (الكهف: ٩) ويقول تعالى: (وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ^{٢٢} وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ^{٢٣} وَكَلْبُهُمْ بَنَسَاطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ^{٢٤} لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا) (الكهف: ١٨).

(الرقيم: قيل إسم مكان، وقيل نسبوا الي حجر رقيم فيه أسماؤهم^(٢٢))
(بل أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي الغار في الجبل، واللوح الحجري الذي كتبت عليه أسماؤهم، كانوا وحدهم فقط عجا من آياتنا ؟ لا تظن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب، نزلت هذه الآية وقصة أصحاب الكهف عند سؤال قريشا للنبي (صلى الله عليه وسلم) عن ثلاثة أمور؛ منها هذه بتوجيه اليهود، حين لجأ أصحاب الكهف الشباب، فراراً بدينهم من الفتنة، قالوا ربنا آتانا من عندك رحمة خاصة وهي؛ المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا، ويسر لنا الهداية الي المطلوب الذي تحبه وترضاه بمفارقة الكفار، فأنمناهم نوما عميقا لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة معلومة العدد ثم ايقظناهم من نومهم، لنعلم أي الفريقين المختلفين منهم في مدة نومهم أضبط لمدة بقائهم نياما، وتظنهم أيقاظا منتبهين؛ لأن أعينهم مفتحة قليلا وهم في الواقع نيام) (٢٣). قال تعالى: (وَلْيُتُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) (الكهف: ٢٥).

(جاء في سبب نزول الآية ما أخرجه ابن مردويه^(٢٤) عن ابن عباس قال:

أنزلت (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة) فقليل يارسول الله سنين أم شهور؟ فأنزل الله سنينا وازدادوا تسعا^(٢٥).

والمعني: (أخبر الله تعالى في قوله (ولبثوا) عن مدة لبث أهل الكهف؛ وهي ثلاثمائة وتسع سنوات، كانوا في هذه المدة نياما لا أمواتا، وأمر الله تعالى برد العلم بمدتهم إليهم، كما أمر بذلك في معرفة عددهم، لأن الله تعالى أعلم بكل شيء، وأعلم بغيب السماوات والأرض وما فيها من أهوال المخلوقات والظاهر أن أهل الكهف ماتوا موتا حقيقيا وإن كان لامانع شرعا من بقاء أجسادهم محفوظة لم يطرأ عليها البلى والفناء؛ لأن أجساد الأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين لا تفنى ولا تبلى، دلت هذه القصة علي أن الله قادر علي البعث والقيامة؛ لأن إثبات ذلك يدور علي أصول ثلاثة؛ أحدها: إن الله قادر علي الممكنات.

الثاني: أن تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات.

والثالث: أن كل ماكان ممكن الحصول في بعض الأوقات، كان ممكن الحصول في سائر الأوقات^(٢٦).

هذه القصة بكل تداعياتها وتفصيلها المثيرة والخطيرة لم يسبق لها مثيل، فالذي ينقل هذه الأجساد من اللا وجود الي الوجود ومن الحياة الي الموت ومن الموت الي الحياة، هل يعجزه إعادة البشر وبعثهم يوم القيامة، سبحانه الذي أتقن كل شيء خلقه.

الخاتمة:

حفل القرآن العظيم بالكثير من الآيات الدالة علي إحياء الأجساد بعد موتها، وقد حدث هذا في الدنيا، ومن باب أولي أن هذا الأمر الذي ثبت في القرآن الكريم وحدث في الدنيا سيحدث في الآخرة حتماً، فإن الذين حاولوا الفرار من الموت فإن الفرار يكون من الموت الي الموت، فقد قال لهم الله: موتوا، فماتوا ! وفي قصة قتيل بني اسرائيل وهذا شأن قصص القتل في كل زمان ومكان، يدفع الناس التهم عن بعضهم البعض ولا بد من إعادة الناس للحساب، حتي يأخذ كل ذي حق حقه، وأن الله سيخرج ما يكتمه كل من قتل نفسا وكتّم ذلك علي مر الدهور والأجيال، ومن قصة عزيز، وكما يحدث اليوم قد يسأل الفرد المسلم نفسه وهو يري الدمار والخراب والقتل، هل سيكون هناك حساب وجزاء عادل للسفكة والقتلة، وإن كالأبد من ذلك، فحينها يصير إحياء الإنسان واقع لا ريب فيه، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون، فلا بد من الأدب مع الله، كما يبدو ذلك جلياً في قصة عزيز الذي لم يراع الأدب فقد جعل الله له مثال الإحياء والإماتة في نفسه، فلما راعي إبراهيم الأدب مع الله جعل له مثال الإحياء والإماتة في الطيور.

وفي قصة أهل الكهف الكثير من العظات والعبر فإن الهجرة أصل من أصول الدين وتظل قصة أهل الكهف قبساً يضيئ طريق الحيايى ومثالا علي قدرة الله سبحانه وتعالى الذي يفعل بهذه الأجساد مايشاء من تقلب في أحوالها؛ وفناء ثم وجود ثم موت ثم إحياء. حتي الإستقرار الأبدي في دار الخلود، نسأل الله تعالى أن نكون من أصحاب النعيم المقيم.

التوصيات:

١- ينبغي علينا جميعا أن نضع الموت نصب أعيننا؛ فالذي لا يغفل عن هذه الحقيقة الأزلية يستحضر جلال الله وقدرته دوما، فيبتعد عن المعاصي.

٢- إن الإنسان مسير في جانب الموت والحياة، فلا تدري نفس بأي أرض تموت أو متي تمرّت؟ فكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

٣- الإنسان مخير في إختيار الطاعة أو المعصية ولن يكون خليفة الله في أرضه إن عصي الله تعالى والإعادة بالله، فإن لم تكن للموبات بتارك فلست بركب الصالحين تليق.

٤- كفى بالموت واعظا، فإن الموت لامحالة واقع، فعلي المسلم وغيره أن يدرك أنه إلي حيث صار الناس صائر.

٥- إننا لا محالة هالكين وسنبعث يوم القيامة فليس هناك فرصة أخرى لمن كفر بالله تعالى.

فيا سكن الدنيا أمنت زوالها ولقد تري الإيام دائرة الرحي
ساعات ليك والنهار كلاهما رُسل اليك وهن يسرعن الخطي
وصدق القائل حين قال:

لكل شيء إذا ما ضيعته عوض ومالله إن ضيعت من عوض

الهوامش:

- ١- فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي، ج٦، ص١٤٣.
- ٢- القاموس المحيط: للفيروز آبادي، تحقيق، عبد الخالق السيد، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، ص٩.
- ٣- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، ط١٧، ١٩٩٢، ج١، ص٩.
- ٤- التفسير الوجيز: أ.د. وهبه الزحيلي، دار الفكر. دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص٤٠.
- ٥- ابو العلاء المعري.
- ٦- أخرجه البخاري في الأحاديث القدسية في صحيحه.
- ٧- ذخيرة الواعظ: إبراهيم محمد عبد الباقي، مكتبة القاهرة الطبعة الاولى ١٩٦٧م، ص٤٤.
- ٨- رواه ابن ابي الدنيا.
- ٩- اورده ابن حجر في تلخيص الحبير (٤، ٥٦) ورواه ابن عدي، وسكت عنه السيوطي، وروي مرفوعا عن ابن مسعود في الصحيح.
- ١٠- المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، المكتبة التوفيقية، ص١٧٣.
- ١١- محمد بن عمر بن الحسين ولد سنة ٥٤٣هـ، صاحب التصانيف، يقال له ابن خطيب الري، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير، له نحو مائتي مصنف، كان معظما عند ملوك خوارزم وإماما للدنيا في عصره، البداية والنهاية، ابن كثير، ج١٣، ص٦٠.
- ١٢- اتباع عمر بن عبيد وواصل بن عطاء، سموا بذلك لاعتزالهم الجماعة بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية ويقال ان واصل بن عطاء هو الذي وضع اصول مذهبهم، وهو مبني علي الأصول الخمسة التي سموها العدل والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر والنهي عن المنكر، وهم يرون أن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد، ولكن لا يزيد ولا ينقص ومرتكب الكبيرة فاسق يخلد في النار، أنظر الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية، عبد العزيز محمد السلطان، ص ٥٠٢.

- ١٣- انظر التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ٢، ص ١٤٤.
- ١٤- التفسير الوجيز، ص ١٢.
- ١٥- كاتب الواقدي، وصاحب السيرة النبوية، سمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وابان بن عثمان، وابن شهاب الزهري وغيرهم. حدث عنه يحيى بن سعيد وابن جريح وشعبة وغيرهم، مات ببغداد ودفن بمقبرة الخيزران (والدة هارون الرشيد) تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي ج ١، ص ٢١٤.
- ١٦- أنظر مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٣٤.
- ١٧- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير قرشي النسب دمشقي الدار، كان مقرناً متقناً، ورواية للحديث موثقاً، وكان مفسراً ومؤرخاً معروفاً، توفي سنة ٧٧٤هـ، مقدمة البداية والنهاية، ج ١، ص ٣.
- ١٨- تفسير القرآن العظيم، ج ١ ص ٢٩٨ (بتصرف).
- ١٩- التفسير الوجيز، ص ٤٤.
- ٢٠- أيسر التفاسير: أبوبكر الجزائري، ج ١، ص ٢٥.
- ٢١- أنظر التفسير الكبير، ج ٤، ص ٣٣.
- ٢٢- أنظر: غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ص ٢٠٧.
- ٢٣- أنظر: التفسير الوجيز، ص ٢٩٦.
- ٢٤- أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردويه ولد سنة ٣٢٣هـ، حدث عن أبيه أبي عمران وأبي سهل وسليمان الطبراني وخلق كثير، حدث عنه أبوبكر العطار وابن الفضل الثقفي وغيرهم، له من التصانيف، التفسير الكبير، والتاريخ وغير ذلك، مات سنة ٤١٠هـ. انظر: تهذيب سير أعلام النبلاء: للذهبي، ج ٢، ص ٢٨٢.
- ٢٥- لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي، ص ١٤٥.
- ٢٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر - لبنان - سوريا الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ج ١٥، ص ٢٣٦.